أبعاد العنوان ومدلولاته في الشعر العربي المعاصر- دراسة تطبيقية-

Dimensions and Connotations of the title in modern Arabic poetry -an imperical Study-

تاريخ الاستلام: 2021/05/03 تاريخ القبول: 2021/06/07 تاريخ النشر: 2021/06/30

د. فريـــــدة بولكعيبـات
جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة (الجزائر)
Email : Prof.faridabou@gmail.com

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 15/ العـدد 01 -السنة 2021 ص ص 393-412
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8152

ملخص:

يعد العنوان سمة العمل الفني سواء في النثر أو في الشعر، إذ يمثل عتبة أولى من عتبات النص وعنصرا مهما في تشكيل الدلالة، فهو علامة تواصلية وأول لقاء مادي مع المرسل والمتلقي، بالإضافة إلى كونه يشكل حمولة دلالية فهو قبل ذلك إشارة سيميائية، وسيميائيته تنبع من كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي يغري المتلقي بتتبع دلالته مستثمرا ما تيسر له من طريق التأويل. لذا أولت الدراسات النقدية المعاصرة أهمية كبرى للعنوان باعتباره مصطلحا إجرائيا ناجحا في مقاربة النص الأدبي ومفتاحا أساسيا يتسلح به الباحث للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها، حتى يتمكن من تفكيك النص، من أجل تركيبه عبر استخراج بنياته الدلالية والرمزية ويضيء لنا ما غمض من جوانبه المعتمة.

الكلمات المفتاحية: *العنوان ، أبواق العاج ، الدلالة، صلاح أحمد إبراهيم ، العنوان الرئيس، العناوين الفرعية.*

Abstract

Whether in prose or poetry, the title has an artistic feature in the literary work. It represents the first threshold of the text and an important element in making the sign. It is a communicative event between the poet and the reader which basically conveys a semantic connotation. The latter tempts the reader to follow its linguistic connotations and opens the door for interpretation. Therefore, in contemporary critical studies, the title is a fundamental procedural key in approaching the literary text which helps for the researcher to go in a deep interpretation of the text. It gives a way to deconstruct and reconstruct the text by extracting its semantic and symbolic structures and deleting ambiguous ones.

Keywords: *title, signification, connotation, internal titles, poetry, interpretation.*

المقدمة

يرتبط العنوان بالنص ارتباطا وثيقا حيث يسمه ويختزله ويشكل ذاته، ويدلل بسام قطوس في كتابه "سيمياء العنوان " على هذا الرأي فيقر أن "العنوان هو لحظة تأسيس بكر يتم منها العبور إلى النص، فهو سمة العمل الفني والأدبي الأول حيث يضم النص الواسع في حالة اختزال وكمون كبيرين، يختزل فيه بنيته ودلالته أو كليهما في آن" (سام قطوس، 2001، ص39). وتحاول هذه الدراسة الوقوف على مدلولات العنوان في الشعر العربي المعاصر من خلال تجربة شعرية متميزة في الكتابة الشعرية المعاصرة، وأول ملحوظة نسوقها هنا، هي تعدد الدراسات ضمن إطار دلالات العنونة، مما يجعلنا نضطر إلى اختزال هذه الممارسة في تجربة واحدة دالة، هي ديوان "بوق العاج" للشاعر السوداني صلاح أحمد إبراهيم، لتؤلف هذه الدراسة لحظة تأمل في دلالة (العنوان الرئيس) وصولا إلى العناوين الفرعية (عناوين القصائد الشعرية) وفق المنهج السيميائي الذي يركز على استجلاء مدلولات هذه العناوين. تُرى ما هي مختلف الأبعاد التي حملتها عناوين ديوان بوق العاج؟ وما هي الدلالات التي كان الشاعر يرمي إليها من خلال اختياره لهذه العناوين؟ وهل استطاعت هذه الأخيرة أن تعكس مضمون النص؟

يعرض العنوان نفسه على القارئ في بنية غنية من حيث الدلالة تحيل إلى بنية عميقة مترسبة في أعماق النص ومسارات تشكل المعنى، وفي عمق الثقافة التي أنتجته أيضا، لذا فالعنوان يفرض على واضعه مسؤولية الاختيار لكي لا يكون مجرد مادة جاهزة تستهلك وتفقد صلاحيتها منذ القراءة الأولى. ولهذا الاعتبار بدا الشاعر السوداني صلاح أحمد إبراهيم في ديوان " بوق العاج " مؤمنا بشرعية العنوان، إذ جعل هذا الأخير في حوار مستمر مع نصوصه، وأفضت مسارات التدليل في المدونة عن تناسق

عجيب بين دلالات العنوان ومضمون النص، ولعل عبقرية العنونة تكمن في تمكُّن العنوان من " الإحالة إلى مجموع النصوص/ القصائد في الديوان " (محمد بنيس، 1994،ص 67).

1. في مفهوم العنوان:

يعد العنوان علامة لغوية تعلو النص لتسمه وتحدده، وتغري القارئ وتستفزه للبحث في مدلولاته ومحاولة ربطها بمضمون النص لاستكشاف معانيه الظاهرة والخفية، لهذا سنركز في هذه الدراسة على بعض الإضاءات النظرية الخاصة بمفهوم العنوان التي ستسهم لا محالة في تعضيد الجانب التطبيقي للديوان الشعري.

في البداية يمكن القول إنّ النقاد والدارسين لم يولوا اهتماما للعنوان إلا في الدراسات السيميائية المعاصرة حيث اهتمت السيميائية بكل ما يحيط بالنص من علامات :كالعنوان، والإهداء، والغلاف، والمقدمات والهوامش...إلخ، بعدما تبين أنها من المفاتيح المهمة في اقتحام أغوار النص، خاصة العنوان الذي يرتبط أشد الارتباط بالنص الذي يعنونه، فهو بمثابة نص مختصر يتعامل مع نص كبير يعكس كل أغواره وأبعاده. ومن ثم عُدَّ العنوان عتبة نصية مهمة تؤدّي دور الوسيط بين القارئ والنص الإبداعي، فهو اللافتة الإشهارية التي تمنح القارئ الإحساس المريح للإقبال على قراءة النص الإبداعي أو العكس، لهذا كان محل اهتمام المبدعين ،حيث عمل الكتّاب على اختيار عناوين كتبهم بدقة واحترافية كبيرة تناسب ذوق الجمهور وتراعي متطلبات العصر. فالعنوان إذن إحالة بعدية للمتن وعتبة نصية مفتاحية تساعد في فك شفرات النص. وقد ورد مصطلح (عنوان) في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش إذ يرى أن: "العنوان هو مقطع لغوي أقل من الجملة نصا أو عملا فنيا" (سعيد علوش،1985،ص155.) ، أي أن العنوان يتميز بصفة الاختصار والإيجاز، كما أنه قد

يكون نصا أو عملا فنيا قابلا للتأويل؛ أي يحمل المعنى المقصود. وقد تخطّى الإبداع الأدبي المعاصر عتبة العنوان من اسم يُعيِّن عملا أدبيا ويرسمه، إلى ضرورة شعرية فنية تُحرِّك مشاعر المبدع والمتلقي معا لتغوص به في عوالم الفن والجمال في سيرورة تواصلية تجمع بين الكاتب والمتلقي فتحقق الشعرية والجمالية.

ويعد جيرار جنيت (Gérard Genette) أول من اهتم بمصطلح (المناص) وعناصره أي عناصر النص الموازي ، ومنها العنوان ، يقول جنيت (Ginette): " إن العنوان أحد أهم عناصر النص الموازي وتعريفه يطرح بعض الأسئلة كونه مجموع معقد أحيانا ليس لطوله أو قصره بل لمدى قدرتنا على تحليله وتأويله "(عبد الحق بلعابد،2008،ص65) . ويتموضع العنوان حسب جنيت (Genette) في أربعة أماكن: "الصفحة الأولى للغلاف ، في ظهر الغلاف ، في صفحة العنوان، في الصفحة المزيفة للعنوان وهي الصفحة البيضاء التي تحمل العنوان فقط وقد تغيب في بعض السلاسل الطباعية" (عبد الحق بلعابد،2008،ص70). وكأي عنصر مناصي أو عتبة نصية يشغل العنوان حسب جنيت(Genette) وظائف مرتبة حسب تعالقها وتداخلها وهي:(عبد الحق بلعابد،2008،ص87، 88)

1. **الوظيفة التعيينية:** التي تعين اسم الكتاب للقراء وتعرفهم به، وهي الوظيفة الإلزامية والضرورية لأنها محيطة بالمعنى.
2. **الوظيفة الوصفية:** وهي الوظيفة التي يقول العنوان بها شيئا عن النص كمفتاح تأويلي للنص.
3. **الوظيفة الايحائية:** هذه الوظيفة أشد ارتباطا بالوظيفة الوصفية.

4. **الوظيفة الإغرائية:** أي مناسبة العنوان لما يُغري قارئه المفترض ويجذبه، فيحدث التشويق والانتظار لدى القارئ، إلا أن هذا التأنق لا يكون على حساب مضمون النص ومعناه.

إن عتبة العنوان مصطلح إجرائيٌّ في المقاربات النصية يخضع للمنهج السيميائي قبل تحليل أي نص أدبي، ليصبح العنوان علما قائما بذاته يسمى علم العنونة (Titrologie)، وقد تناوله الدارسون بالتعريف والتحليل والتأويل نظرا للأهمية التي تجمع بينه وبين النص في علاقة مؤسَّسة. فجميل الحمداوي في كتابه سيميوطيقا العنوان يقر" أن العنوان من أهم العتبات النصية المحيطة بالنص الرئيس وهو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص والتعمق في شعابه التائهة والسفر في دهاليزه الممتدة، وبه يتحقق اتساق النص وانسجامه وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة وبالتالي النص هو العنوان والعنوان هو النص" (جميل حمداوي، 2015، ص8). وهنا يتبين لنا دور العنوان في كشف أغوار النص وتبيان علاقاته الدلالية، فإذا كان العنوان يفك شفرات النص والنص يُركِّب العنوان، فإن النص هو العنوان، والعنوان هو صورة مصغرة للنص، وهذا ما أقره الحمداوي. ويذهب عزوز علي إسماعيل هذا المذهب حيث يرى أن "العنوان هو بوابة العمل الروائي ومن خلاله تُفتح أبواب النص المغلقة، وتُستقى بعض المعلومات الخاصة بالعمل الروائي، حيث ينفض الغبار عنه، فهو المبين والشارح لما يدور من أحداث في الرواية، فالعنوان مدخل لفهم النص " (عزوز علي اسماعيل، 2013، ص74).

2. دلالة العنوان الرئيس (الخارجي):

العنوان الرئيس هو العنوان الأصلي الذي اختاره الكاتب ليسم به عمله، فيشتهر الكتاب بذلك العنوان ويُتداول في الأسواق والمكتبات والدراسات، كما يعمل العنوان

الأساسي على تسمية النص وتعيينه "فهو يسعى إلى تمييزه عن نصوص أخرى، بالإضافة إلى أن طبيعة هذا العنوان تؤشر إلى هوية الجنس الأدبي الذي تؤشر إليه" (شعيب حليفي، 1992،ص12).

تصدر عنوان ديوان "بوق العاج" لصلاح أحمد إبراهيم ، صفحة الغلاف الخارجي للديوان في الأعلى، وقد كُتِب بخط عريض واضح باللون البني الذي امتزجت حدوده مع اللون الأبيض. ويرمز اللون البني إلى الأرض والوطن والجذور، حيث يمثل لون التراب، كما يحيل إلى الإحساس بالأمن والهدوء النفسي. أما اللون الأبيض الذي يحده فهو لون الصفاء والنقاء، لون الحب والمودة، الفرح والسرور، التفاؤل والانتصار، وقد تميز العنوان بعمق المعنى، إذ ليس من السهل على القارئ أن يستنبط معناه من المحاولة الأولى، فهو يتميز بالمراوغة والتمويه، ويضاف إليهما الإيحاء الذي يجعل العنوان مفتوحا على قراءات جديدة. حيث تعلن صيغة العنوان " بوق العاج " في البداية أننا أمام مُعطًى لغويٍّ في تركيبة نحوية اصطلح عليها النحاة ب(الجملة)، والتي في تشريعهم تعني علاقة إسناديّة مع حصول الفائدة. والعنوان هنا جاء جملة اسمية ابتدائية تتكون من الدال (بوق) وهو اسم مفرد وقد جاء نكرة دلالة على الإبهام وعدم الوضوح، فالسامع لا يعرفه حتى يتشوق لمعرفة الجواب عن سؤاله بوق ماذا؟ ما هو جنسه؟ لأن ما يوحي إليه لفظ (بوق) غير مُعيَّن، ليُعَرّف دال (العاج) ما أُنْكر من قبل وما جُهِل، فيوضح معالمه ويبين أنه واضح للسامع، ويجيب عن السؤال الذي يبين ماهية هذا البوق ومادة صنعه وجنسه. " والبوق العاجي هو بوق مصنوع من ناب الفيل كان الفرسان يستخدمونه في الحرب أو الصيد " (أحمد مختار عمر، 2008، ص264). وجملة (بوق العاج) جملة اسمية مركبة من خبر مركّب تركيبا إضافيا (بوق + العاج: (بوق) مضاف، و (العاج) مضاف إليه مجرور) ومبتدأ مقدر

بالضمير (هذا)، والأصل في العنوان " هذا بُوقُ العَاجِ "، فتم الإيجاز والاختصار بغرض التشويق ولفت الانتباه، وكذا التعظيم والتفخيم وهذا ما عملت الإضافة على تحقيقه بلاغيا. حيث يذكر البلاغيون ضرورة تقديم المحذوف حتى لا يحمل الكلام على ظاهره، ولزوم الحكم بالحذف راجع إلى الكلام نفسه لا إلى غرض المتكلم، إذ يشترط الحذف وجود قرينة دالة على المحذوف وإلا فإن ذكره يعد حين إذن عبثا، يقول الجرجاني (ت 471 هـ– 1078 م) " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن" (عبد القاهر الجرجاني، 2000، ص131).

ولا ندرك سر هذا الربط وهذا التأليف في صيغة العنوان، إلا بالعودة إلى المعجم الذي يحدد الصورة النواتية لأي لفظ فالدال:"بوق هو اسم من الفعل بَوَقَ وهو فعل رباعي لازم متعدي بحرف يحمل الدال بوق في بعده الدلالي المعجمي معنى النفخ في بَوَّقَ يُبَوِّقُ تَبْوِيقَ، بَوَّقَ في البوقِ نفخ فيه ، وهو اسم مفرد جمعه: بُوقَاتٌ ، أَبْوَاقٌ، بِيقَانٌ. والبوق: أداة موسيقية مجوفة صوتها حاد يُنفَخ فيها أو يُزمَّر، أو آلة نفخ نحاسية تتكون من أنبوب طويل وقاعدة تتسع للخارج كالقمع والأنواع الحديثة لها ثلاثة مفاتيح لإصدار النغمات المختلفة أبواق عسكرية" (أحمد مختار عمر، 2008،ص263) . فالبوق إذن هو آلة نفخ موسيقية تمتاز بالصوت الحاد الصاخب والشديد. أما دال" "العَاجِ "فهو جمع مفرده عَاجَّة وهي القطعة من العاج، والعاج: ناب الفيل" (جبران مسعود، 1992، ص533).

أراد الشاعر صلاح أحمد إبراهيم من خلال بوقه العاجي التوجيه والإرشاد والتبليغ من جهة، والإنذار والإشارة والدعوة من جهة ثانية، وهي توجيهات وتبليغات وإنذارات

حادة حِدَّةَ الصوت القوي المندفع من البوق، فالشاعر غيور على وطنه يعتبر نفسه فارسا حاميا له، يعتز ويفتخر به ويدعو شعبه للكفاح والنضال من أجله، وتتجلى هذه المعاني في قصائد الديوان المختلفة، حيث وردت صيغة"بوق العاج" في قصيدته المعنونة ب"هَات لِي بُوقِي1" وهي قصيدة يدعو فيها الشاعر الشعب للاحتفال بانتصار الثورة في السودان ضد نظام الرئيس الدكتاتوري "إبراهيم عبود" عام 1964. يقول: (صلاح أحمد إبراهيم، 2014، ص44)

هات لي بوقي بوق العاج لا الآخر– واسبقني إلى الساحة ،
خبّر صاحب الحانة أن ينزل لي الراية
هات لي بوقي –هات القرن – واسبقني إلى الحي، فضيفي
الشعب عصر النصر.

يوظف الشاعر مفردة (بُوقِي) دلالة على نسبة "البوق العاجي" إليه، والمعروف أن العاج من المواد الثمينة والنفيسة، تزخر بعض دول إفريقيا به ويُستعمَل في صناعة الحلي والتماثيل ومختلف التحف، فهو رمز للتراث الإفريقي والحضاري، من هنا يتبين أن الشاعر يفتخر بهُويته السودانية الإفريقية ، كما يدعو الشعب للتجمع في الساحة لإنزال الراية المصرية البريطانية إعلانا عن انتصار ثورة الشعب السوداني على النظام الدكتاتوري المستبِدّ.

وإذا كان البوق يستعمل كوسيلة ينادَى بها للاحتفال و الرقص و الفرح بالانتصار، فهو أيضا وسيلة ينادَى بها لتأبين الموتى "فسكان جنوب السودان يستقبلون الموت بالرقص وتعاطي الخمر والسكر " (حسن مكي محمد أحمد، دس،ص43). فيقدم الشاعر موكب الأموات والجرحى في جو احتفالي بهيج يريد به طابع الخلود وأن يبقى في ذاكرة الأجيال . وفي هذا الصدد يقول الشاعر:(صلاح أحمد إبراهيم، 2014،ص45)

هاته ندفن به الأبطال موتانا، ضحايا العنف، أولى صرخات
الثورة الكبرى، وآلام مخاض النصر، فالعنف هو الدايه
هاته نطرب به الأبطال جرحانا، بموكبه، نصنع منه للأبناء
للآتين في شط غد آيه

إنها صرخة الشاعر الصاخبة التي تجمع بين الحزن والافتخار، حزن دائم على فقدان الضحايا الذين ثاروا وتمرّدوا على الظلم والاستبداد وقدَّموا حياتهم قربانا من أجل الحرية، وافتخاره بهم لأنهم نواة النصر وآية اعتزاز للجيل القادم.

وفي قصيدة "هات لي بوقي 9"يتخذ الشاعر من البوق مجدّدا معنى للدّعوة والحضور، ولكن هذه المرة ليس للاحتفال بل للمبايعة على عرش القلب، وكأنه يمنح الشعبَ الولايةَ على قلبه،كما يعلن نواياه الصافية اتجاهه، فالشعب سيده ومولاه لأنه مصدر النصر، لهذا عزم الشاعر على أن يتغنى به في شعره حتى الفجر. يقول: (صلاح أحمد إبراهيم، 2014،ص66)

هات لي بوقيَ بوق العاج، لا الآخر– واسبقني إلى الساحة،
خبّر صاحب الحانة أن ينزل لي الراية
هاته وأعلن عزمت اليوم أن أنشد حتى النجمة الأولى من
الفجر
الأناشيد لمولاي
هاته وادع لي الشعب، أميري الشعب، وأجلسه على القلب،
أبايعه على
السهل على الصعب، وأصفيه نوایاي
هات لي بوقيَ بوق العاج

أخذ العنوان في ديوان صلاح أحمد ابراهيم (بوق العاج) بُعدا قصديا وطنيا، فالشاعر فارس يحمل لواء التضحية حيث انطلقت أبواقه الوطنية الإنسانية تدعو شعبه الجائع المتعطش للتضحية في سبيل الحرية وفي سبيل أن يعيش ويشبع مشبها نفسه بـ "شجر التبلدي": وهو "شجر ضخم يجوف ويحفظ فيه الماء لزمن الجفاف غرب السودان" (صلاح أحمد إبراهيم، 2014،ص20). يقول في قصيدته: الرقم 6 من الديوان (صلاح أحمد إبراهيم، 2014،ص20)

وقفت لهم كالتبلدي،
وقلت ظماء بلادي هلمّوا وهاتوا الفؤوس
واهووا بها في يساري واهووا بها في يميني
وفي حيث شئتم ولا ترحموني
وقلت:جياع بلادي هلمّوا وهاتوا القصاع.

إن روح الشاعر الوطنية تصدح بملء صوتها من خلال جل قصائد الديوان، معبرة عن دورها القيادي الموجه والمبلغ والناصح للشعب السوداني الأبي وهذه الهوية الإفريقية الراسخة التي يدعو للافتخار بها. من هنا جاء العنوان "بوق العاج" دالا على القيادة والشجاعة التي تختزل بدورها دلالات القوة والشدة والتوجيه والتبليغ والإرشاد، وهو ما عبر عنه الشاعر بشعرية فائقة بيَّنَت حرصه الدائم على قوميته وعلى توفير الحماية لكل شعب مظلوم، فكان العنوان اللافتة الإشهارية التي اختزلت تلك المعاني معبرة عن أحلام الشاعر والواقع العربي الذي يعاني الويلات، ففي شعرية منقطعة النظير تجلَّت وظيفة العنوان الإغرائية حيث امتدت جماليته الفنية من بداية المتن الشعري بدءًا بالغلاف إلى نهاية الديوان، فشاعرنا يتميز بسمات الفرسان، فكانت

عتبة العنوان مناصا دالا على المتن اتخذ المتن نفسه سمات العنوان الإغرائي والإشهاري.

3. دلالة العناوين الداخلية(الفرعية):

تمثل العناوين الداخلية في العمل الأدبي علامات لغوية دالة وهي عناوين مصاحبة للنص، لذا تعد نصوصا موازية تعمل على فك شفرات النص، حيث تتموقع في بداية كل نص أو على رأس كل فصل، ويعرفها "جيرار جينات"(Genette Gérard) قائلا: "العناوين الداخلية هي عناوين مرافقة أو مصاحبة للنص وتكون داخله كعناوين الفصول والمباحث والأقسام و الأجزاء للقصص والروايات والدواوين الشعرية ..." عبد الحق بلعابد،2008،ص125،124). ويُعَدُّ وجود هاته العلامات الداخلية غير ضروري على عكس وجود العنوان الرئيسي الذي يُعَدُّ وجوده ضروريا، فالعناوين الداخلية هي عناوين واصفة تربط بينها وبين الفصول وبينها وبين العنوان الرئيس، يقول عبد الحق بلعابد في هذا الصدد "العناوين الداخلية عناوين واصفة شارحة (métatitre) لعنوانها الرئيس كبنية عميقة، فهي أجوبة مؤجلة لسؤال كينونة العنوان الرئيسي لتتحقق بذلك العلاقة التواصلية بين العناوين الداخلية والعنوان الرئيسي " (عبد الحق بلعابد،2008،ص127). ويعرفها عبد المالك أشبهون بقوله: "العناوين الداخلية بمثابة الصوت الآخر للمؤلف في توجيه عملية تنظيم قراءة النص الروائي، بطريقة غير مباشرة " عبد المالك أشبهون،2011،ص137). فالعناوين الداخلية إذن هي علامة لغوية يصف بها المبدع المتن لتوجيه القارئ ومساعدته على القراءة.

يتشكّل ديوان "بوق العاج" من مجموعة قصائد شكلت عتبة العناوين الداخلية للديوان وعملت على تبيان دلالات المتن والكشف عن مقصدية الشاعر وفك شفرات النص و رموزه، حيث نظم شاعرنا قصائده على إيقاع الحزن والموت والعذاب

مازجا بين قصيدة النثر والشعر الحر معبرا عن وقائع وطنه الأليم وانكسارات شعبه بصوت يصرخ مستغيثا متألما من جهة، كما يهتف بالنصر والبطولة والشجاعة من جهة ثانية ، ويتضح ذلك للقارئ وهو يقرأ عناوين الديوان المختلفة: (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، أوديب ملكا، فكر معي ملوال ،21 أكتوبر، هات لي بوقي، دماء في الخرطوم، في المشرحة، نداء الثأر، الدرس البليغ، مبيور، صوت من العدم، المجد للشعب، هات لي بوقي).

استهَلَّ صلاح أحمد إبراهيم ديوانه الشعري بمجموعة من القصائد رمز لها بالأعداد من 1 إلى 8، وهي قصائد لا تحمل عنوانا، وكأن الشاعر أراد من القارئ أن يشاركه في قراءتها واختيار عنوان لها، والقارئ لها يلاحظ أنها تنْصبُّ في حقل دلالي واحد هو حقل الحنين والمحبة والوئام للشعب والوطن، فشاعرنا متعلق بشعبه تعلق الروح بالجسد، فهو غائب بجسده عن أهله ووطنه، حاضر بعقله وكيانه يشتاق لهم ويحن إليهم. أما قصائده الأخرى فجاءت معنونة، ولأن قصائد الديوان كثيرة بما لا يسمح لنا بدراستها جميعا دراسة سيميائية، وهو الأمر الذي لا يتوافق مع حجم الدراسة، سنتَّبِع مبدأ الانتقائية للتركيز على بعض العناوين دون أخرى لتكون هذه مثالا على تلك.

ومن العناوين التي أثارت اهتمامنا قصيدة بعنوان "أوديب ملكا "، وهي القصيدة التي يتناص عنوانها مع المسرحية اليونانية لسوفوكليس "أوديب ملكا" التي أُخِدت عن أسطورة أوديب، وقد جاءت صيغة العنوان جملة اسمية مكونة من (أوديب) خبر لمبتدأ مقدر بالضمير هذا، (ملكا) تمييز (و هناك من يعربها خبرا منصوبا لكان المحذوفة مع اسمها، و التّقدير: (كان ملكا)، وقد دلت مفردة ملكا على التعجب والحيرة نظرا لتغير حال أوديب فجأة ليصبح ملكا. وقد وظف الشاعر مسرحية أوديب

بشخصياتها الحقيقية وأحداثها التي تدور حول الإنسان وعلاقته بالآلهة والعدالة والمصير ومكانة الإنسان في الحياة، إلا أن المعالجة تختلف من خلال استخدام الرمز "أوديب" تجنبا للمباشرة وكل ما هو تقليدي، حيث يُشبِّه القائد العسكري إبراهيم عبود بأوديب، فيتحدث عمّا حدث لأوديب نتيجة تلك الآثام التي ارتكبها، ويشرح ما حدث (لعبود) في تلك النهاية المتشابهة، ويدعو الشاعر من خلال أبيات القصيدة لاستخدام العقل والحكمة وضرورة احترام الإنسان والشعب لأنه مصدر كل سلطة يقول: (صلاح أحمد إبراهيم، 2014،ص32)

وتحدى الشعب والحكمة والمنطق والعيش الحلال

لقي المخدوع بالحرف مصيره

فاقئا عينيه تجري بالدماء الفتحات هائما في الطرقات

صائحا يستنزل الناس عليه اللعنات

ليتني مت ولم أجلب على نفسي الشقاء

ليتني مت ولم أصغ إلى سلوى نفاق ورياء

نلاحظ ذلك التداخل الدلالي بين العنوان الداخلي(أوديب ملكا) والعنوان الرئيس (بوق العاج) الذي يدور حول الدعوة إلى تحقيق العدالة واحترام الشعب واستخدام العقل قبل التصرف بأي شيء وأن السلطة للشعب، فعزْلُ إبراهيم عبود وتمرُّدُ الشعب عليه كان ضرورة حتمية لأنه رمز للاستبداد والاستعباد.

أما في قصائده (هات لي بوقي1/ هات لي بوقي9/المجد للشعب) فإن الشاعر يدعو الشعب عبر بوقه العاجي للاحتفال بالانتصار الذي حققه بعد الثورة ، فجملة (هات لي بوقي) جملة فعلية مكونة من"هات": اسم فعل أمر بمعنى (اِعطِ) مبني على الكسر لا محل له من الإعراب، و فاعله مستتر فيه وجوبا تقديره (أنت)، و "لي": جار

ومجرور، بوقي: مفعول به منصوب و علامة نصبه الفتحة المقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحلّ بالحركة المناسبة لياء المتكلّم، وهو مضاف. وياء المتكلّم في محلّ جرّ مضاف إليه. والجار والمجرور متعلقان باسم الفعل (هات). فالفاعل مستتر تقديره (أنت)، و يقصد به الآخر الذي يعطيه البوق على العمومية لا على التخصيص. والملاحظ أن الشاعر يتَلَفَّظُ بأحرف الملكية "لي" وياء المتكلّم دلالة على الافتخار ببوقه العاجي من جهة، وعلى هويته السودانية الإفريقية من جهة أخرى، وقد تكرر هذا العنوان على رأس قصيدتين من الديوان ما يدل على أثرهما الكبير في نفس الشاعر خاصة أنهما يبعثان على الفرح ففيهما دعوة صريحة من الشاعر للاحتفال يقول في ذلك:(صلاح أحمد إبراهيم، 2014،ص44)

هات لي بوقيَ بوق العاج لا الآخر– واسبقني إلى الساحة
خبّر صاحب الحانة أن ينزل لي الراية
هات لي بوقي– هات القرن– واسبقني إلى الحيّ، فضيفي
الشعب عصر النصر

إلى جانب القصيدة التي عنوانها "المجد للشعب " وقد جاء عنوانها جملة اسمية تتكون من مسند إليه مبتدأ (المجد) ، ومسند خبر محذوف تقديره (حاصل) سدّ مسدّه شبه الجملة، الجار و المجرور، (للشّعب). وقد وردت لفظة " المجد"مقدّمة على الجار و المجرور (للشعب) في سياقٍ يجوز تأخيرها فيها،لأنّ الشّاعر أراد أن يؤكّد على أهمّيّته وأنّه حاصل للشّعب دون غيره ، والمجد هو النبل والعزة والشرف والرفعة، فشاعرنا يشكر شعبه بكل فئاته لتعاضدهم في سبيل العزة والشرف، والحرية والكرامة يقول: (صلاح أحمد إبراهيم، 2014،ص61)

ويعيد القول هذا يومنا المجيد، هذا العيد، محفل سعيد، يا حضور فاستزيدوا جلسة في الحرمين.

في جو احتفالي بهيج يدعو شاعرنا شعبه للاحتفال باليوم السعيد، يومِ النصرِ الذي أصبح عيدا للسودانيين عامة ،كما يشكر شعبه الأبيّ من خلال القصيدة على إصراره من أجل تحقيق الكرامة والعزة والشرف،كما لا ينسى التضحيات الجسيمة التي قدمها الشهداء في سبيل الشعب والوطن وتحقيق العزة للأجيال القادمة.

وقد عبَّر الشاعر عن أحاسيسه وانفعالاته المؤلمة في قصائده: (في المَشْرَحَة/ دماء في الخرطوم/ نداء الثأر/ الدرس البليغ/ 21 أكتوبر/ مبيور). فصلاح أحمد إبراهيم يُقدِّم عرفانه وامتنانه للشهداء الأبرار، كما يرثي الشهداء صغار السن ويتحسَّر عليهم، وهو ما دلت عليه الجمل الاسمية المختلفة للعناوين التي تدل على الثبات والسكون، سكون النفس الحزينة اليائسة المتألمة، وهذه العناوين ما هي إلا مُعادل موضوعاتي لعملية إراقة الدماء حيث يحيل العنوان الذي جاء شبه جملة (في المَشْرَحَة) وهي جملة اسمية تتألف من مسند خبر ومسند إليه مبتدأ محذوف تقديره هذا على كثرة الجثث المعروضة التي ضحَّت من أجل الوطن، ويحيل العنوان (نداء الثأر) الذي جاء جملة اسمية أيضا مكونة من مسند خبر (نداء)و هو مضاف، ومسند إليه محذوف تقديره (هذا)، إلى دلالة المطالبة بالقصاص والانتقام من أجل نيل الحرية وتحقيق العدالة، أما عنوانا (الدرس البليغ و21اكتوبر) فيرميان لتخليد بعض الوقائع التي انجرَّت عنها نتائج إيجابية على واقع الشعب، وهذا ما عبَّرت عنه (ال) التعريف في" الدرس" وكانت حصيلتها استشهاد المتمردين على السلطة والمتظاهرين من أجل التغيير، هذا ما عبر عنه المعجم الدلالي الذي وظفه الشاعر في القصائد الآتية: الشهداء،

الدماء،كفنًا، الهتاف، المشرحة، المذبحة، المنون، جنازة، اختضبت، دماء، الموت، مآتم، الصبر، المرتزق، الجمر، الردى، ...

أما القصيدة التي عُنوِنت ب "مبيور" وهي قصيدة خصّصها الشاعر لرثاء الشخصية السياسية السودانية "جون قرنق دي مبيور" مؤسس الحركة الشعبية لتحرير السودان والقائد العام للجيش ، معترفا بتضحياته متألما على رحيله، وقد ورد تركيب العنوان جملة اسمية مكونة من مسند خبر ومسند إليه مبتدأ محذوف جوازا تقديره (هذا)، فالأصل في الجملة (هذا مبيور)، فالعنوان جاء مركّبا اسميا محذوف المبتدأ، وهو يتعالق مع شخصية جون قرن دي مبيور زعيم الحركة الشعبية لتحرير السودان، فهو معروف لا يحتاج للإشارة إليه كي يعرفه الآخر ، فهو اسم يرمز إلى الشجاعة والبطولة والزعامة متأثرا بروح التغيير من أجل الخروج من القهر والاستبداد يقول شاعرنا وهو يرثي الزعيم "مبيور ": واصفا إياه بالصديق، وهو يشترك معه في الكفاح من أجل العدالة والحرية وتحقيق المساواة ومنع الاضطهاد (صلاح أحمد إبراهيم، 2014،ص53)

مات هناك في رحاب النور

صديقنا فتى من الجنوب اسمه "مبيور "

في جانب آخر من الديوان يدعو الشاعر صلاح أحمد إبراهيم للحب والاتحاد من القطر إلى القطر ومن الشمال إلى الجنوب،كما يدعو إلى استنهاض الهمم و تحفيز الإرادة لدى شعبه الغالي، رغبة في رفع راية الحق وتحقيق مجرى العدالة عبر قصيدته المعنونة بـ "صوت من العدم" فجملة (صوت من العدم) جملة اسمية مكونة من مسند خبر (صوت) متعلّق به الجار و المجرور (من العدم)، ومسند إليه مبتدأ محذوف تقديره (هذا) ، ويحيل هذا الوصف اللساني إلى التحدي والقوة والانطلاق نحو التغيير، خاصة وأن الشاعر يدعو شعبه للعلم فبه تتحقق الآمال والإنجازات،كما يحفز إرادته

لتحقيق مبتغاه، يقول شاعرنا صلاح أحمد إبراهيم: (صلاح أحمد إبراهيم، 2014،ص58)

أهلا بكم بالنور يحييكم عصر النور
عصر التشييد، وعصر الخلق، وعصر الراحة
فالعلم عمل،
عدل وأمل
بالعلم أخذنا كل ضنين
وأقمنا الحلم " اليوتوبي"
مدينتنا الإنسان يسير على إثنين
فيها ويعم الفضل وأهل الفضل
ومدينتانا تتغنى في عيد الشكر
والتذكار

الخاتمة:

من خلال دراستنا للعنوان الخارجي والعناوين الداخلية لديوان "بوق العاج" للشاعر صلاح أحمد إبراهيم توصَّلنا إلى النتائج الآتية:

1- يعتبر العنوان همزة وصل بين المبدع والمتلقي، لذا نلمس حرص الشاعر صلاح أحمد إبراهيم على اختيار عناوينه بدقة متناهية مما جعلها تثير الكثير من التساؤلات التي تتطلب من القارئ إجابة عنها لربطها بمضمون النص سواء تعلق الأمر بالعنوان الخارجي " بوق العاج " أو بالعناوين الداخلية (عناوين القصائد الشعرية).

2- وظف الشاعر عناوين داخلية جاءت منبثقة من العنوان الرئيس، تخدم غرضه ودلالته بطريقة إغرائية تشويقية تجذب القارئ، ساعدت في شرح خبايا النص بجزئياته، كما عملت على وصف ملامح العنوان الرئيس كعتبة نصية لها دور الوسيط بين القارئ والمتن مضيفا إلى المتن شعرية وجمالية خاصة. فالعنوان الخارجي (الرئيس) والعناوين الداخلية (الفرعية) في ديوان " بوق العاج" في علاقة ترابطية الأول يعلن والثاني يفسر.

3-جاءت العناوين التي انتقاها الشاعر صلاح أحمد إبراهيم لديوانه بوق العاج – سواء تعلق الأمر بالعنوان الرئيس أو بالعناوين الداخلية- مُشبَّعة بالدلالة متميزة بخاصية الإيحاء، فيها من البعد الوطني والثقافي والتاريخي الشيء الكثير ، إلى جانب اشتغال الشاعر بكثرة على المركب الاسمي وإن تباينت معانيه إلا أنها تصب في حقل التضحية من أجل الشعب والوطن. فجل عناوين قصائد ديوان "بوق العاج" ذات التركيب الاسمي تتألف من مسند(خبر) ومسند إليه(مبتدأ)

محذوف جوازا تقديره (هذا) وهو ما لاحظناه على أغلب أنماط الجملة الاسمية في عناوين الديوان .

4- تضمنت عناوين ديوان بوق العاج (العنوان الخارجي والعناوين الداخلية) وظائف:(التعيين، والوصف، والإيحاء، والإغراء)، وذلك لحساسية وأهمية الموضوع الذي أثاره الشاعر وهو مرتبط بالدرجة الأولى بكفاح ونضال الشعب السوداني ضد الظلم والاستبداد.

المصادر والمراجع:

1. عمر أحمد مختار: 2008،معجم اللغة العربية المعاصرة،ط1، عالم الكتب، القاهرة، مج1.
2. قطوس بسام: 2001،سيمياء العنوان،ط1، وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
3. أحمد حسن مكي محمد:(د.س) الواقع الثقافي في السودان، دراسات افريقية، جامعة إفريقيا العالمية – السودان، ع 46.
4. أحمد عبد الحق بلعابد:200، عتبات جيرار جينات من النص الى المناص،ط1، تقديم سعيد يقطين،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان .
5. الحمداوي جميل: سيميوطيقا العنوان، د- د- ن، ط1، 2015.
6. علوش سعيد: 1985،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، شوشبريس، الدار البيضاء، المغرب.
7. إبراهيم صلاح أحمد: 2014، بوق العاج،ط1، دبي الثقافية،.
8. اسماعيل عزوز علي: 2013، عتبات النص في الرواية العربية،دط، دراسة سيميولوجية سردية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
9. أشبهون عبد المالك: 2011، العنوان في الرواية العربية، ط1،دار محاكاة للنشر والتوزيع، دمشق – سوريا.
10. بنيس محمد: 1994،كتابة المحو،ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، بيروت.
11. حليفي شعيب : 1992، النص الموازي – استيراتيجية العنوان – مجلة الكرمل، قبرص،ع46.
12. مسعود جبران: 1992،معجم الرائد،ط7، دار العلم للملايين، دار الياس- بيروت، لبنان.
13. عبد القاهر الجرجاني، 2000، دلائل الإعجاز، ط1، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع،بيروت.